تونس وتحدّي الإرهاب

■ حميدي العبدالله

تستمرّ هجمات التنظيمات الإرهابية على مواقع للجيش التونسي في أنحاء مختلفة من البلاد. ومما لا شك فيه أنه ليس هناك أية ذرائع مثل تلك التي يلجأ إليها الإعلام الخليجي والإعلام الغربي لتبرير وجود التنظيمات الإرهابية.

في تونس حكومة منتخبة من الشعب، وفي تونس نظام لم يقص أحداً، بما في ذلك جماعة «الإخوان المسلمين» التي تشكل العباءة التي يخرج من تحتها وَمن فكرها كل الإرهابيين، ومع ذلك فإنّ تحدّي الإرهاب، سواء لجهة حصول التنظيمات الإرهابية على معاقل داخل الأراضي التونسية، أو الهجمات التي يشنّها بين فترة وأخرى على أهداف مدنية وعلى مواقع الجيش لم تتوقف، بل ثمة من يتوقع أن تزداد خطورة واتساعاً في الفترة المقبلة.

الأخطار والتحديات تنبع من حقيقة أنّ التنظيمات الإرهابية تسيطر الآن على ليبيا، والحدود المشتركة بين ليبيا وتونس حدود طويلة يصعب ضبطها، وفي ليبيا يحصل الإرهابيون على التدريب الجيّد، والتسليح المطلوب، والمال الذي تتطلبه أيّ هجمات إرهابية أكثر اتساعاً.

وواضح أنّ توازن القوى بين الدولة التونسية والجماعات الإرهابية لا يعمل في مصلحة الحكومة في ضوء هذا الواقع. هذا يعني أنه لا بدّ من البحث عن الأسباب الحقيقة لوجود ظاهرة الإرهاب وتناميها وللمخاطر المتصاعدة والتحديات الإضافية التي تواجه الحكومة والجيش والقوى الأمنية التونسية.

في هذا السياق يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

الملاحظة الأولى، أنّ خطر الإرهاب الذي بلغ مستوى غير مسبوق ما كان له أن يكون لولا الحصول على التدريب والمال والقدرات العسكرية والملاذ الآمن. وهذا كله توفر بسبب سيطرة الحركات الإرهابية على مناطق واسعة من ليبيا. لكن لو لم يبادر حلف الناتو لإسقاط النظام الليبي، لما حدث كل ذلك، وبمعزل عن ماهية نظام القذافي، وما إذا كان صالحاً أم لا، فإنّ النتيجة المؤكدة أنّ بديله كان أكثر سوءاً أولاً، على الشعب الليبي، وثانياً على الدول المجاورة، وثالثاً على العالم كله كون ليبيا تحوّلت إلى قاعدة وممول ومدرّب ومسلّح للإرهابيين، فإذا كان ثمة مسؤولية على هذا الصعيد فيجب أن يتحمّلها حصراً حلف الناتو ودول المنطقة التي شاركت في إسقاط النظام الليبي من دون التحسّب للبدائل.

الملاحظة الثانية، تستمدّ التنظيمات الإرهابية في ليبيا قوتها وقدرتها على التمدّد والتوسع من غياب حرب جدية دولية ضدّ التنظيمات الإرهابية، فطالما أنّ الحكومات الغربية، وحكومات المنطقة، تتعاون مع هذه التنظيمات الإرهابية في سورية والعراق ولبنان، لإضعاف خصومها في منظومة المقاومة والممانعة، فإنه من الصعب، بل من المستحيل القضاء على الإرهاب في ليبيا وفي تونس وفي أماكن أخرى، بل إنّ التنظيمات الإرهابية تستفيد من هذا الدعم السياسي والعسكري والإعلامي والمالي، من أجل الحصول على مزيد من عناصر القوة التي تؤهّلها للتمدّد والتوسع، وبديهي أن يكون ذلك بداية في الدول المجاورة لليبيا، وتونس ومصر في مقدمة هذه الدول.

«موسكو 3» قبل أردوغان وبعده

في الخامس من الشهر الجاري أعلن المبعوث الخاص للرئيس الروسي إلى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا نائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف أنّ موسكو مستعدة لاستضافة جولة ثالثة من المشاورات بين الحكومة السورية و«المعارضة».

ونقل موقع «روسيا اليوم» عن بوغدانوف قوله: «نحن لا نفرض إرادتنا على أحد، وأنّ المبادرة تنطلق من السوريين أنفسهم... الآن تطلب الحكومة السورية منا عقد لقاء موسكو الثالث، ونحن مستعدون لذلك ولو تمّ انعقاده اليوم... لكننا نحتاج إلى إجراء مزيد من الاتصالات مع ممثلي المجموعات المعارضة المختلفة».

وكان نائب وزير الخارجية الروسب غينادي غاتيلوف أعلن قبل ذلك أنّ الأطراف السورية التي شاركت في لقاءَيْ موسكو التشاوريّين مهتمة بإجراء جولة ثالثة من المشاورات، لافتاً إلى أن مواقف القيادة السورية متقبّلة دائماً للحوار».

وتابع بوغدانوف أنّ «الأمر لا يتوقف على روسيا، وأن موسكو ليست طرفا في النزاع»، مضيفا: «نتمنى للسوريين أن يتوصلوا إلى اتفاق، ولا سيما أن العدو عندهم جميعاً عدو واحد ومشترك وهو الإرهاب والتطرف».

وشدد على «ضرورة توحيد جهود جميع السوريين في مكافحة التحديات المشتركة والشر الكوني المشترك الذي يهدد الأمن القومي، ليس في سورية فحسب وإنما في العراق أيضاً، وكذلك يهدّد المنطقة بأسرها إضافة إلى روسيا والولايات المتحدة وأوروبا برمتها»

في المقابل انطلقت في القاهرة جولة محادثات بين مكونات المعارضة وخصوصاً طرفيها الرئيسيين الائتلاف الذي يدعمه الغرب وتركيا والخليج، وهيئة التنسيق الوطنية التي شاركت في حوارات موسكو وتبدو مقرّبة تقليديا من مصر.

دائماً كانت محاولات التقارب والتقريب بين هذين المكونين تفشل رغم معرفة الساعين للتقارب بأنّ وحدتهما تشكل قطب جذب لضمّ كلّ المجموعات الصغيرة المبعثرة للمعارضة، وفي تقديم جبهة سياسية موحدة تحمل اسم حبهة المعارضة السورية.

العقبة كانت دائماً بكون الحرب على سورية تملك آمالا بإحداث اختراق عسكري، وبالتالي سياسي ضدّ الدولة السورية، والرغبة من قبل الحلف العربي الغربي التركي الواقف وراء الحرب باحتكار رأس جسر سياسي يمثله ويكون هو حصانه داخل التشكيل الجديد للدولة السورية تحت عنوان الحلّ السياسي، وكانت هذه هي مهمة الائتلاف، وكان الائتلاف فرحاً بهذا الاحتكار.

الحرب على سورية رغم كلّ مظاهر تقدّم «النصرة» و«داعش» محكومة في النهاية بخيار سياسي، فإذا كان تسويق «جبهة النصرة» ممكناً فلا مبرّر لكلّ الائتلاف وهيئة التنسيق، لأنها تتميّز عنهم بامتلاك حيثية قتالية حقيقية، بينما كلّ المعارضة السياسية هي معارضة فنادق خمسة نجوم وشاشات الفضائيات.

واضح أنّ التعقيدات كبيرة أمام تسويق «النصرة»، خصوصاً للمشاركة في حوار تشكل الدولة السورية فريقه الثاني وترعاه الأمم المتحدة وتشارك في الرعاية موسكو وواشنطن والكلّ يصنّف «النصرة» منظمة إرهابية كتشكيل سوري لتنظيم «القاعدة».

الاستعداد لمنصات الحلّ السياسي في المنطقة لا تكتمل بدون سورية، وفي سورية لا تكتمل بدون الدولة التي رغم سنوات الحرب لا تزال هي الرقم الصعب، ومن هي المعارضة المشاركة نقطة البداية في المسار السياسي، وتحديد السقف السياسي للحوار والمشاركين مسبقاً يشكل البوابة الرئيسية إلى جنيف 3.

نجحت حوارات موسكو 1 و2 بمنح هيئة التنسيق موقعاً قيادياً للمعارضة غير المنضوية في الائتلاف، كما نجحت في رسم إطار للحوار السياسي يصعب تخطيه إلا بكسر المعادلة ضدّ الدولة السورية عسكرياً، والعنوان الذي صار في عهدة دي ميستورا ، حوار غير مشروط حول مسألة السلطة هدفه حشد الجهود لمواجهة الإرهاب بجناحيه «النصرة» و«داعش»، ودعم الجيش السوري كتعبير عن إجماع السوريين على مكافحة الإرهاب.

الخطوة التي فرضت نفسها على لقاءات القاهرة للمعارضة هذه الأيام هي مشاركة الائتلاف في موسكو3 كمقدمة تحضيرية لجنيف 3.

بدأت حوارات القاهرة تحت تأثير نشوة الائتلاف بإمساك «النصرة» بإدلب وجسر الشغور والظهير التركي للتقدّم، ودخلت يومها الثاني على خيبات هزيمة أردوغان الانتخابية والتهيّؤ لزمن تغيّر موقع تركيا في الأزمة السورية.

هل تنتهي حوارات القاهرة بقرار الائتلاف المشاركة في موسكو3؟

«توب نيوز»

بعد الأمير سقوط الإمارة

– بلغ التمادي القطري ضدّ السعودية وضدّ مصر مبارك الدولتين الأهمّ في الحسابات الأميركية في المنطقة درجة أثارت الاستغراب، وكان بيد قطر سلاح ساحر هو قناة «الجزيرة» ولم تحرّك واشنطن ساكنا.

– ظهرت تركيا كقوة حامية للدور القطري.

– عندما بدأت حروب التغيير الذكية التي سُمّيت بالربيع العربي توضحت الصورة، فقد ظهرت الدوحة كعاصمة لهذا الربيع تقود التحوّلات وتعيّن الحكومات، وفيها مرجعية الفريقين الأقوى للمرحلة الجديدة «الإخوان المسلمون» وتنظيم «القاعدة»، ومعها السلاح الحاسم قناة «الجزيرة».

– فشلت قطر في كسر سورية، وسقطت المهل الممدّدة لأميرها بإسقاط الرئيس السوري، فاستحقّ الرحيل وتبعه بالرحيل من الحكم إخوان مصر وتونس.

– تسلمت السعودية راية الحرب وفشلت ومنحت مهلاً توّجت بحربها على اليمن فتراكم الفشل على الفشل.

– حاولت مصر بعد الإخوان توظيف علاقة جيشها التقليدية بأميركا وعلاقتها الخاصة بالسعودية للعب دور إقليمي عبر البوابة الليبية فمنعت أميركياً وسعودياً كرمى لعيون قطر المحروسة بأهداب تركية.

– هزيمة أردوغان تفتح باب ليبيا أمام مصر، فهل تقتنص الباب لالتهام السعودية للإمارة تعويضاً عن الفشل في اليمن وتلتحق الإمارة بالأمير؟

التعليق السياسي

الأسد وحروبه ... (تتمة ص1)

يحجم دائماً عن اصطياد فرص الاستفزازات الحدودية وتحويلها لمشاريع حروب تفتح أبواب التسويات، ولا يتردّد في مواصلة طريقه حتى عندما يبدو أنّ الخطر يقترب من عاصمته، ويتحمّل مواصلة طريقه في القتال حتى عندما يكون حلفاؤه موضع تساؤلات حول مدى تمسكهم به ووقوفهم في صفه ودرجة استعدادهم لمشاركته مصيراً يبدو مرات كثيرة أنه مدعاة للتشاؤم؟

– يستعرض خبراء الحروب نوعاً آخر من التساؤلات، من نوع كيف يمكن للرئيس السوري أن يمسك أجهزة استخباراته القادرة عن الردّ بالمثل على ما يطاول بلده من أعمال تخريب؟ فكيف ينجح بتحمّل ما لا يحتمل ولا يغضب يوماً فيأمر باستهداف قطر أو السعودية أو تركيا بأعمال تشبه تلك التي تتولى حكومات هذه الدول تنظيمها ورعايته ضدّه وضدّ جيشه ومؤسسات دولته، وكثير من الأحيان ضدّ منشآت مدنية ومواطنين أبرياء؟ ويبدو مصدر غرابة لهؤلاء أن لا يملك أي من أعداء الأسد مضبطة إتهامية ضدّه عنوانها التورّط في أعمال إرهابية على رغم هول ما يفعله هؤلاء في سورية. والمسألة هنا تتخطى حدود الشجاعة الشخصية والقدرة على التحمّل في وجه حرب إعلامية مفتوحة ضدّه على مدار الساعة تتناوله شخصياً بحرب أعصاب، وعلى رغم ما يصل حدّ استهدافه الشخصي أمنياً أيضاً وهو الذي لم يغادر مكتبه الرئاسي في أصعب ظروف الحرب.

– تبدو استراتيجية الصمود المركب التي يديرها الأسد محيّرة في نتائجها المبهرة، وهو صمود يبدأ من الثبات الشخصي للرئيس ليبث خيار الصمود على مستوى جيشه وشعبه وحلفائه، ويبث التوتر وروح الهزيمة والفشل في معسكرات خصومه تأسيساً على معادلة أنّ حجم الخيبة بقدر الأمل، فالصمود بالنسبة لحجم مقدرات سورية قياساً بأعدائها معجزة تمنح الأمل بالنصر السريع للخصوم داخل سورية وخارجها، وبالقياس نفسه للقدرات المتقابلة وأوهام السقوط السريع المتوقع لسورية تصير خيبات أعداء الأسد من الصمود، وكلما توسع مدى الصمود وامتدّ زمانه تشجع الحلفاء على خوض حروبهم المؤجلة مع ذات معسكر الخصوم لترصيد نقاط تقدّم في حساباتهم، وهذا معنى ما جرى في الأزمة الأوكرانية بإمساك روسيا لورقة القرم وحسمها، ومثله ما جرى في الملف النووي الإيراني والصلابة الإيرانية وشجاعة الذهاب إلى التخصيب المرتفع التي أرعبت خصومها وجلبتهم إلى تفاهمات بحدود الممكن والمتاح. وفي المقابل كلما توسع مدى الصمود وامتدّ زمانه ارتعشت فرائص الخصوم وبدأوا يرتكبون الأخطاء ويقعون في الانفعال بحثاً عن حروب رديفة أحياناً وبديلة أحياناً أخرى. وهكذا هي حرب «إسرائيل» لتغيير قواعد الاشتباك مع المقاومة ونتائجها العكسية، وحرب السعودية في اليمن وتتويجها بالفشل الذريع والخيبة والخذلان، وحرب القيادة التركية على المعارضة ومحاولة الاستئثار والإقصاء والإلغاء ونتائجها الكارثية بالانتحار السياسي للرئيس التركي، الذي شكل رمز الحرب على سورية طوال أربع سنوات.

– حروب الأسد الارتدادية لم يخضها هو، لكنه فرضها وحفز نحوها وسيقطف ثمارها. وهي فلسفة كاملة لصناعة النصر باستحضار التاريخ والجغرافيا كعاملين سريّين في حسم الحرب، يشكلان مكافئاً متفوّقاً مقابل ما يملكه الخصوم من أسلحة للدمار الشامل.

ناصر قنديل

من عبد الناصر ... (تتمة ص1)

إلى جانب موقف عبد الناصر، هناك جملة أسباب أخرى أنتجت جميعها مناخاً جديداً داخل تركيا وخريطتها السياسية، الأمر الذي أدّى إلى استعصاء سياسي مهم وكبير، دفع القوات المسلحة التركية إلى القيام بانقلاب على السلطة السياسية، فأطيح برأس مندريس وفريقه السياسي، وذهبا إلى مزبلة التاريخ!

تلك اللحظة السياسية تحاكي إلى حدّ بعيد ما شهدته سورية منذ مطلع عام 2011، إذ أنّ مندريس يُستبدل بأردوغان، الذي كان رئيسيّاً في مشهد العدوان على سورية، تحت عناوين عديدة، أهمّها أنه يقف إلى جانب الشعب السوري في «ثورته»، وهي الأسطوانة المشروخة التي ظلّ يتنقل فيها من محطة إلى أخرى، مؤكداً أنه يقف إلى جانب الشعوب التي تنادي بالحرية، ولم يكن غريباً علينا أنّ أردوغان لم يقف إلى جانب الشعب في البحرين واليمن أو إلى جانب الشعب المصري حين ثار على قيادة «الإخوان المسلمين»، كما أنه لم يكن غريباً علينا عدم وقوفه إلى جانب الشعب الفلسطيني خلال العدوان الصهيوني عليه، بخاصة في غزّة أخيراً، علماً أنه قدّم نفسه كسلطان عثماني جديد يدافع عن الإسلام والمسلمين، إذ أننّا كنّا ندرك جيّداً الدور البعيد والوظيفي الذي كان يسند إلى أردوغان أميركيّاً على مستوى المنطقة.

توفّرت لأردوغان أسباب مهمة كي يتدخل في سورية، عسكريّاً ومن خلال الجيش التركي، كون أنّ ظروفاً صاعدة أمّنت إمكان هذا العدوان، باعتبار أنّ هناك تخليّاً عربيّاً عن سورية، إضافة إلى إمكانات توفرت في ظلّ اصطفافات وتحالفات رسمت خرائط جديدة، كما أنّ عناوين رسّخها العدوان الكبير على سورية مكّنت من أن تفرز أسباب تدخل أو عدوان مباشر، يمكن له أن يقدّم على أنه تدخل من أجل السوريين، ولا يصوّر على أنّه عدوان على سورية.

لقد كانت اللحظة ناضجة جداً، وأعتقد أنها لن تتكرّر تاريخيّاً، وكان يمكن لتركيا أن تدخل في مواجهة مع سورية، لا يمكن أن تنتهي إلا بصعود خرائط مختلفة جداً عمّا هي عليه المنطقة الآن، وبالتالي فإنّ اللحظة كانت مشدودة بشكل كبير جدّاً، حيث أنّ أردوغان صرّح بأنه ذاهب للصلاة في المسجد الأموي، ولا نعتقد أنّ هذا الكلام سهل أو عاديّ لمن يعي بالضبط رمزية الجامع الأموي والصلاة فيه، ثم لمن يفهم بدقة الرمزية الأخرى التي تتعلق بمعنى أنّ «عثمانيّاً» يقول إنّه ذاهب للصلاة في الأموي على أنقاض قيادة قائمة في دمشق!

كان التدخل التركي قائماً إذن، ولم تستطع روسيا أن تمنعه بالشكل الذي يصدّره أو يتصوّره الكثيرون، ولعلّ رغبة أميركية كانت تدفع في هذا الاتجاه، كما أنّ مناخاً إقليمياً وعربيّاً كان قد توفر لذلك، وجاءت اللحظة التي كانت تطمح لها قيادات تركية، في ظلّ أصوات تعلو لجهة أنّ الخلافة العثمانية سقطت بخيانة العرب للأتراك، من خلال تحالفاتهم مع قوى أرادت النيل من الخلافة العثمانية، وأنّ قيادات عربية هي المسؤولة عن سقوط هذه الخلافة، والغريب أنّ قيادات عربية كانت توافق وتسلّم مثل هذا الكلام، وتدفع باتجاه مشروعية حضور تركي تحت راية الخلافة، من خلال عثماني يعتبر أنّ الدولة العثمانية ما زالت قائمة، وأنها سوف تعيد مجدها، وأنّ «أعراباً» لا يمانعون عودتها، ولو كانت هذه العودة على دماء السوريين!

لحظة الاستفراد بسورية كانت مغرية جدّاً، ونادرة جدّاً، ولم يكن أمام حلفاء سورية إمكان الذهاب بعيداً في ما ذهب إليه الراحل جمال عبد الناصر، إلا أنّ أمراً مهمّاً كان يمكن أن يحصل يؤدّي إلى النتيجة ذاتها التي أدّى إليها موقف عبد الناصر يوماً، لكن من نافذة أخرى، وهي أنّ سورية لن تبقى وحيدة، من هنا كان موقف سماحة السيد حسن نصرالله لجهة دفع جزء من عناصر حزب الله نحو التراب السوري، يدافعون عن سورية إلى جانب القوات المسلحة السورية وإلى جانب القوى الشعبية، وهي اللحظة التي كانت ضامنة لقلب جميع الحسابات التركية.

لم يعد العدوان التركي المباشر والمحتمل على سورية عدواناً عليها فقط، لأنّ جزءاً من الشعب اللبناني يقف إلى جانب سورية، وهي لحظة متقدّمة أدّت إلى نتائج أكثر حسماً، فالعدوان إذن لن يكون فقط على سورية وإنما سيكون بشكل غير مباشر على لبنان، وهو ما يمكن أن يتمّ استثماره لجهات أخرى تتعلق بمعركة قد لا تتوقف عند حدود سورية ولبنان، وإنما سوف يتداخل فيها الإقليمي والدولي أيضاً، الأمر الذي قد يؤدّي أخيراً إلى حسابات لم يكن في مقدور أردوغان الإحاطة بها.

صحيح أنّ السيد نصرالله لم يذهب مباشرة إلى تهديد أردوغان ومشروعه العدواني على سورية، لكنّ أردوغان فهم الرسالة التي عناها وقصدها نصرالله، وهي أنّ أيّ عدوان على سورية يعني عدواناً على حزب الله، وبالتالي عدواناً على لبنان، وفي هذه الحالة لن تكون إيران بعيدة من ذلك، كما أنّ العراق سيكون حاضراً فيها، في ظلّ عناوين قد تتسع وتتداخل تحت شعارات قد لا يستطيع أردوغان أو سواه أن يقوم بلملمتها.

أصاب اللحظة السياسية التي يقودها أردوغان استعصاء سياسي كبير، فقد فوّت عليه نصرالله إمكان التدخل المباشر في سورية، تماماً كما فعل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وهو ما أدّى إلى نتائج انتخابية لا يمكن لها أن تبقي أردوغان متزناً أو قادراً على تبنّي الأفكار والوعود ذاتها التي كان يتحدّث فيها، وهذا له ما يليه، إذ أنّ ما يليه في النتائج البعيدة لن يكون مختلفاً عمّا لاقاه مندريس، إنْ كان رأسه قد تدحرج في شوارع أنقرة، أو تدحرج إلى مزبلة التاريخ، فالأمر سيّان.

خالد العبّود

موسكو: واشنطن... (تتمة ص1)

وفي وقت لاحق ازداد عدد الولايات التي تسلمت العينات ليبلغ 19 ولاية.

وأرسلت الأبواغ النشطة على أنها معقمة من المختبر العسكري التابع لموقع «داغواي» في ولاية يوتا، حيث تجرى تدريبات على الحماية من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

وفي السياق، أعلن المتحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية ستيف وورن أمس أن مختبراً بريطانياً، ومختبراً آخر يقع في ولاية ماساتشوستس الأميركية تم إدراجهما في قائمة العناوين التي تم إرسال عينات أبواغ الجمرة الخبيثة إليها، الأمر الذي بلغ معه إجمالي عدد العناوين 68.

وكان وورن أفاد في مؤتمر صحافي أول من أمس بأن عدد المختبرات التي تم إرسال الأبواغ إليها ازداد من 51 إلى 66 مختبراً، بعضها تابع لشركات تجارية ومؤسسات تعليمية وهيئات علمية حكومية.

وكان نائب وزير الدفاع الأميركي بوب وورك أشار سابقاً إلى احتمال أن يكون عدد المختبرات التي تسلمت أبواغ الجمرة الخبيثة أكبر مما هو معروف، معترفاً بأنه لا يعلم عددها الحقيقي، وتعهد وورك بأن يقوم البنتاغون بنشر المعلومات في هذا الشأن يومياً.

الزلزال التركي ... (تتمة ص1)

هوية إرهابي سعودي قتل في جرود عرسال

نشط في مواجهتها، من جهة أخرى، ليجد حكام السعودية بعد كارثة اليمن التي جلبوها لأنفسهم أنهم محاصرون أمام فشل جديد في كلّ من سورية والعراق، ومقابل قوة إيران المتصاعدة على ضفة المياه المقابلة من دون شريك إقليمي يُعتمد عليه، أما الذين جعلوا تركيا بقوة حكم «الإخوان المسلمين» لها وعلاقتها بـ«القاعدة» سنداً لممارسة البلطجة الإقليمية، كما كان حال قطر، فالذعر مزدوج، لأنّ التورّط في حروب المنطقة مضاعف من جانبهم ويتكفل بصناعة عداوات ومشاريع انتقام ممتدّة من ليبيا إلى تونس ومصر وسواها، بعد أن عبثوا بمصائر هذه الدول وتسبّبوا بإراقة أنهار من الدماء فيها، ومن جهة مقابلة يتحسّس القطريون رقابهم من انتقام سعودي يرونه قريباً، بعدما بالغت قطر في الادّعاء والاستفزاز.

الأثر الأكبر لزلزال تركيا أصاب «جبهة النصرة» التي لم تكن بحاجة لضربة ثانية على الرأس بهذا الحجم وهي تتلقى ضربة قاتلة في جرود القلمون وجرود عرسال، فـ«النصرة» وضعت كلّ بيضها في السلة التركية، بعد تراجع «إسرائيل» أمام ميزان الردع المفروض من المقاومة بعد عملية مزارع شبعا، كملاذ حدودي جغرافي قادر على توفير دور الحاضنة التي لا يفيد المال القطري في توفيرها بسقوط الدور التركي، و«النصرة» تواجه معضلة وجودية مع هذا التغيير، فهي محاصرة في جنوب سورية وغربها على جبهتي القنيطرة والقلمون، وها هو متنفّسها الشمالي الذي كانت تتباهي به قبل أسابيع قليلة وتستعرض إنجازاتها في جسر الشغور وإدلب، يتعرّض للسقوط المدوّي بتقدّم فرضية إقفال الحدود التركية في أيّ لحظة، مراضاة لمزاج داخلي غاضب يحتاج أردوغان وحزبه إلى رشوته بجملة إجراءات تجميلية من هذا النوع، طالما أنّ ما حدث يطوي فرصة الرهان على مواصلة اللعبة ذاتها وبالشروط ذاتها، بالنسبة لتركيا.

في هذا المناخ خرج قائد «النصرة» في القلمون أبو مالك التلي يعلن عرسال منطقة عسكرية ويبلغ فاعلياتها أنّ قواته ستعلن تدابير استثنائية للتحقق من عدم وجود اختراقات تهدّد أمنها، وأنّ من ضمن هذه الإجراءات نشر بعض الحواجز ومداهمة عدد من المنازل، وإعلان حظر التجوّل ليلاً، وفي تعبير عن حال الذعر واليأس التي يعيشها التلي، قال في بيان إنّ الدخول إلى عرسال سيتمّ على أجساد مقاتليه وهو ما ردّده قبل معارك يبرود التي سقطت بيد المقاومة خلال ست ساعات، ولم يتردّد التلي في تقديم العسكريين المخطوفين كرهائن يرتبط مصيرهم بأمنه الشخصي، فنقل عنه مقرّبون منه على صفحات التواصل أنه يضمن أمن العسكريين المخطوفين كما يضمن أمنه، وهو يصطحبهم معه أينما ذهب، موجهاً الرسائل لأهالي العسكريين بأنّ مصير أبنائهم مرتبط بأمنه الشخصي.

على جبهات القتال، لم يلتفت مقاتلو المقاومة والجيش السوري في جرود القلمون إلى ما وراءهم وتابعوا حربهم التي أعلن السيد حسن نصرالله أنها بلا سقف ولا مدى محدّد، وقالت مصادر في المقاومة إنّ الحرب مع «النصرة» انتهت عملياً، وإنّ الحرب بدأت مع «داعش» وهي مستمرة بمواجهات جرود راس بعلبك، وستستمرّ حتى تطهير كلّ المنطقة من وجود «داعش» كما طهرت من وجود «النصرة»، باعتبار عرسال مسؤولية وعهدة الجيش اللبناني.

يجري كلّ ذلك ولبنان بلا حكومة، بعدما أدّى قيام وزير الداخلية بتمديد ولاية مدير عام قوى الأمن الداخلي اللواء إبراهيم بصبوص لسنتين إلى وضع التيار الوطني الحر تهديده برفض بحث أيّ بند على جدول أعمال الحكومة حتى البت بالتعيينات الأمنية والعسكرية موضع التنفيذ، ومع استمرار الإجازة المرضية للحكومة جدّد التيار شعاره، الأولوية للتعيين وإلا لا جدول أعمال للحكومة.

جثث «داعش» في قبضة المقاومة

واصلت المقاومة والجيش السوري تقدمهما في جرود عرسال، فصدّت المقاومة هجوماً لمجموعات مسلحة تابعة لتنظيم «داعش»، حيث باء الهجوم بالفشل، وأفادت قناة المنار أن المقاومة استهدفت تجمعاً للمسلحين شرق جرود عرسال أسفر عن مقتل وأسر عدد كبير بينهم عدد لا يستهان به من جنسيات غير سورية، ومنهم أبرز قادة «داعش» في القلمون السعودي وليد عبد المحسن العمري، كما فجرت عبوات ناسفة بمسلحي «داعش» كان «حزب الله» قد زرعها في وقت سابق شرق جرود رأس بعلبك حيث تمكن من أسر 14 جثة منهم.

وقال مصدر ميداني مطلع على سير العمليات لـ«البناء» إن «المعركة الآن على تماس مع داعش التي حاولت شن هجوم مضاد إلا أن المقاومة كانت بالمرصاد.

وتوقع المصدر تحرير كل الجرود قبل شهر رمضان ليقف رجال المقاومة على أبواب عرسال، لكنه نفى أي توجه عند الأمين العام لحزب الله السيد نصرالله وقيادة المقاومة بدخول عرسال».

وحذر المصدر من أنه «إذا لم يدخل الجيش إلى عرسال فهناك مجموعات من عرسال مرتبطة مع المقاومة ستفاجئ الجميع بوجودها وتعيد عرسال المختطفة من الإرهابيين إلى أهلها».

وأكد أن «المعركة مع النصرة انتهت وتصريحات مسؤول النصرة في القلمون أبو مالك التلي هدفها استدراج أهالي العسكريين كسلاح أخير لديه في محاولة منه لإيجاد مخرج له ولجماعتّه وكلامه لا يقدم ولا يؤخر في سير المعارك لأنه ساقط عسكرياً وكلامه بمثابة نعي النصرة لنفسها».

كما أكد أن «المعركة مع داعش بدأت وهناك قرار من السيد نصرالله بتطهير كامل الجرود وعدم السماح بتواجد أي إرهابي، لافتاً إلى أن الجرود متصلة بقارة والنبك ورنكوس وطريق حمص دمشق والسلسلة الشرقية اللبنانية، والمعارك مستمرة حتى تحرير الجرود التي يسيطر عليها «داعش»، متوقعاً إنهاء العمليات مع «داعش» خلال أسبوع لأن التنظيمين متعادلان بالقوة إلا أن «داعش» في الفترة الأخيرة استعدت للحرب لكن الآن بدأت عملية استنزافها وستنعى نفسها قريباً كما نعت «النصرة» نفسها.

وجزم المصدر بأن «العسكريين المخطوفين موجودون داخل عرسال ولا مأوى لهم في الجرود، فضلاً عن وجود عدد كبير من المقاتلين وقيادات ورموز إرهابية كبيرة موجودة في البلدة».

ولفت إلى أن «الجيش موجود في شمال شرقي عرسال – رأس بعلبك ويقوم بدوره في الرصد ومدفعيته تعمل باستمرار، مشيراً إلى أنه سيتم وصل نقاط تواجد الجيش مع نقاط تواجد المقاومة بعد تنظيف بعض الأودية الفاصلة بينهما».

وأوضح مصدر عسكري لـ«البناء» أن «العملية العسكرية للمقاومة أنجزت بنجاح تام حتى الآن وتم قطع الطريق على الفتنة في البقاع كما كان يخطط البعض، مؤكداً أن المقاومة لم تحتج إلى العشائر التي تعتبر قوة احتياطية ستدخل المعركة إذا طلب منها، وإذا الدولة لم تدخل إلى عرسال وتعتقل المطلوبين الذين قتلوا المواطنين وجنود الجيش ستقوم بمنع المساعدات التي تصل بالشاحنات إلى الإرهابيين في عرسال تحت حجة المخيمات من خلال حصار عرسال من زحلة إلى اللبوة».

«الإصلاح والتغيير»: التعيين أولاً

داخلياً، بقي موضوع الحكومة في طليعة الاهتمامات السياسية وقد جرت اتصالات بعيداً عن الأضواء بين عين التينة وكليمنصو كما بين السراي الحكومية والأطراف المعنية لحلحلة الخلاف داخل الحكومة بحسب ما نقل زوار عين التينة عن الرئيس نبيه بري.

وأمس كرر تكتل «التغيير والإصلاح» موقفه من الحكومة إلا أنه أوضح في بيان تلاه الوزير السابق سليم جريصاتي بعد اجتماعه الأسبوعي في الرابية أنه مع انعقاد جلسات حكومية شرط عدم مخالفة الدستور، وأضاف: «ندعو إلى انعقاد الحكومة كي تمارس صلاحياتها الدستورية وكي لا تنكفئ أو تسمح لوزراء فيها باختزال صلاحياتها»، وأشار إلى أن مكونات تكتل التغيير والإصلاح و«الحليف المقاوم» أربعة.

وأشار مصدر قيادي في التيار الوطني الحر لـ«البناء» إلى أن «التيار لن يعطل الحكومة بل يطالبها بالاجتماع للبت بملف التعيينات الأمنية، واتهم فريق 14 آذار وتيار المستقبل تحديداً بأنهم هم الذين يعطلون البلد والمؤسسات ومستمرون بذلك بناء على الأمر الإقليمي. واستغرب كيف يتخذ وزير الداخلية نهاد المشنوق قراراً بالتمديد للمدير العام للأمن الداخلي اللواء إبراهيم بصبوص مدة سنتين، وقال: كنا نعتقد أنه سيمدد له بضعة أشهر حتى أيلول لإجراء سلة تعيينات كاملة وإذ بالمشنوق الذي كنا نجد فيه رجل دولة يقوم وبطريقة لا علاقة لها برجل دولة بهذا الأمر المخالف للقانون الذي ينص بوضوح على أنه عند بلوغ أي ضابط سن التقاعد يحل مكانه الضابط الأقدم رتبة».

وأضاف المصدر: «لن نسمح بتمرير أي قرار داخل الحكومة إذا لم تضع ملف التعيينات الأمنية بنداً أول على جدول الأعمال ولن نقبل أن يحصل في هذا الملف كما حصل في ملف قانون الانتخاب».

وقال: «موقفنا هذا ليس رداً على التمديد لبصبوص بل لحث الجميع على ضرورة التعيين في كل المراكز الأمنية وإذا أصروا على عدم إجراء التعيينات ستشل الحكومة ولن يمر أي قرار مهما كان موضوعه وهم من سيدفع ثمن التداعيات وليس نحن. نشهد مسيرة انحدارية وتخريب للمؤسسات، فهم مددوا للمجلس النيابي مرتين في ظل وجود رئيس للجمهورية ومددوا للقيادات الأمنية المرة الأولى في ظل رئيس أيضاً والآن يريدون التمديد لهم مرة أخرى ويرفضون البحث بقانون انتخاب».

وأوضح: «نتخوف من مجيء رئيس كميشال سليمان أشباه رجال الجمهورية الذي ترك الجمهورية مجمدة مشلولة ودخل في صراع سياسي معنا، ولولا أن وافق عليه عون لما وصل إلى بعبدا وعندما أصبح رئيساً قال له عون نحن القوة الضاربة لك لكي ترفع من قيمة رئيس الجمهورية لكن للأسف كان لديه دفتر شروط عمل على تنفيذه حتى وصل به الأمر إلى أن تحولت معادلة الجيش والشعب والمقاومة الذهبية إلى معادلة خشبية آملاً بالتمديد له في الرئاسة».

وحذر المصدر من محاولات تشكيل جبهة مسيحية وازنة داخل مجلس الوزراء لتكون بديلة عن وزراء التيار الوطني الحر، معتبراً ذلك تغييراً للقاعدة المتبعة منذ إنهاء العهد الرئاسي التي تقول إن أي قرار يحتاج إلى توقيع 24 وزيراً في ظل غياب رئيس الجمهورية».

وأكد المصدر أن «العلاقة بين رئيس المجلس النيابي نبيه بري والعماد عون استراتيجية ولا غبار عليها، لكن هناك خلافاً في التفاصيل كأي خلاف يقع داخل الفريق الواحد، ونحن لن نطلب منه خوض معركتنا لكن نتمنى أن يضغط معنا لعقلنة فريق 14 آذار الذين يغتصبون السلطة وحقوق المسيحيين وتعطيل مشاركتهم الحقيقية بالحكم».

وأكد المصدر ثقة التيار الوطني الحر بالحلفاء، في دعم موقفنا في مجلس الوزراء ولن يمرروا أي قرار قبل البت بالتعيينات الأمنية».